قافية القاف

١٥٤
نعم أنتِ حبيبتي

[الطويل]

لَعَمْرُكَ إِنَّ البَيْتَ بالقِبَلِ الَّذي
مَرَرْتُ ولَمْ أُلْمِمْ عليهِ لَشائِقُ(١)

وبالجَزْعِ مِنْ أَعْلى الجُنَيْنَةِ مَنْزِلٌ
شَجَا حَزَنٍ، صدري بهِ مُتَضايِقُ(٢)

كأَنِّي إِذا لَمْ أَلْقَ لَيْلَى مُعَلَّقٌ
بِسَبَّيْنِ أَهْفُو بَيْنَ سَهْلٍ وحالِقُ(٣)

على أَنَّني لو شِئْتُ هاجَتْ صَبَابَتي
عَلَيَّ رُسومٌ عَيَّ فيها التَّناطُقُ(٤)

---

(١) القِبَل: الجهة. أُلمِمْ عليه: أزره بسرعة، الشائق: المحبّب إلى النفس، يُقسم الشاعر على طريقة شعراء الجاهلية. لعمرك إنّ البيت الكائن في الجهة التي عرّجت عليها بسرعة، ولم أقف لزيارته هو محبّب إلى نفسي.

(٢) الجَزْع: منعطف الوادي. ذلك البيت يتّخذ من كتف الوادي مربضاً، في أعلى المنعطف أدخل على قلبي حزناً حتى لم يعد في صدري احتمال الضيق الذي أحدثه.

(٣) السِّب: الحبل. أهفو: أميل. حالق: عالٍ. لم يكن مقصد الشاعر المرور في تلك الناحية إلّا لرؤية ليلى، ولكن شاءت المقادير ألّا يراها، ولذا فإنّه أحسّ كأنّه معلّق بين السماء والأرض.

(٤) ويعلن الشاعر أنه لو أراد رؤية حبيبته، فيكفيه أن تثير عشقه أطلال قد عرفت إطلالة حبيبته، تلك الأطلال عاجزة عن النطق، ولكنّها تترجم عن تاريخ وحياة.

لَعَمْرُكِ إِنَّ الحُبَّ يا أُمَّ مالِكٍ
بِقَلبي يراني اللَّهُ منه لَلاصِقُ[١]

يَضُمُّ عليَّ اللَّيلُ أَطرافَ حُبِّكُم
كما ضَمَّ أَطرافَ القَميصِ البنائِقُ[٢]

وماذا عسى الواشونَ أَنْ يتحدَّثوا
سوى أَنْ يقولوا: إنني لكِ عاشِقُ[٣]؟

نعم، صَدَقَ الواشونَ، أَنتِ حبيبَةٌ
إِلَيَّ وإِنْ لم تَصْفُ منكِ الخلائِقُ[٤]

أَمُسْتَقْبِلي نَفْحُ الصَّبا ثم شائقي
بِبَرْدِ ثنايا أُمِّ حَسَّانَ شائِقُ[٥]؟

كأَنَّ على أَنيابِها الخمرَ شَجَّها
بماءِ سحابٍ آخرَ اللَّيلِ غابِقُ[٦]

---

(١) يُقسم الشاعر بحياة أم مالك ليلى أن حبّها مغروز في أعماق قلبه، وهو يُشهد اللّه تعالى على ما يقول أنه صادق في قوله.

(٢) البنائق: من بَنَّق القميص، أي رقع على القميص بنيقة لربطه. ليل المحبين ليل طويل، يجول في خواطرهم هموم وأحلام تجتمع في آنٍ معاً، وهذا شأن الشاعر، كما تَضمّ البنائق أطراف القميص.

(٣) ورد البيت في: المقتضب، للمبرّد ٣: ١٩٥، خزانة الأدب، للبغدادي ٢: ٥٥٨، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٦٣، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي: ١٣٨٣. من طبيعة الوشاة أن يتقوّلوا الأقاويل ويفتروا الافتراءات، وليس لهم إلّا أن يقولوا: إنني لك عاشق.

(٤) الخلائق، واحدها خليقة: ما جُبِلَ عليه الإنسان من خُلُق. يقرّر الشاعر بلا تردّد ولا تلجلُج أن الواشين صادقون في مقولتهم، أنت حبّي وعزيزة على نفسي، ولكنّ المشكلة فيكِ فمن طبعك أنّك لست صافية الودّ، صادقة الحبّ.

(٥) و (٦) نسيم الصبا منعش رقيق يستقبله المرء بلهفة وحبٍّ؛ يثير فيّ سحراً، وكذلك يجذبني إليه برد ثنايا أم حَسَّان بشوق. وهو بمثابة خمر مسكر لذيذ مُزج بمطر آخر الليل لمن يغتبق.

ومـــا ذقْـــتُـــهُ إلَّا بـــعَـــيْـــنـــي تَـــفَـــرُّســـاً
كـمـا شِـيـمَ فـي أَعـلـى الـسَّـحـابَـةِ بـارِقُ[١]

١٥٥
التوق إلى الحبيب

[الطويل]

أَإِنْ سَـجَـعَـتْ فـي بَـطْـنِ وَادٍ حَـمـامَـةٌ
تُـجَـاوِبُ أُخْـرَى دَمْـعُ عَـيْـنِـكِ دَافِـقُ[٢]

كـأَنَّـكَ لـم تَـسْـمَـعْ بُـكـاءَ حَـمَـامَـةٍ
بِـلَـيْـلٍ ولـم يَـحْـزُنْـكَ إلْـفٌ مُـفَـارِقُ[٣]

ولـم تَـرَ مَـفْـجُـوعـاً بِـشَـيْءٍ يُـحِـبُّـهُ
سِـوَاكَ ولـم يَـعْـشَـقْ كَـعِـشْـقِـكَ عـاشِـقُ[٤]

بَـلَـى وَأَفِـقْ عَـنْ ذِكْـرِ لَـيْـلَـى فَـإِنَّـمَـا
أَخـو الـحُـبِّ مَـنْ ذَاقَ الـهَـوى وهـو تَـائِـقُ[٥]

---

(١) شِيم، فعل ماضٍ للمجهول من شام: لمح. حقيقة لم أجرؤ على مذاقه، بل كان لنظري مجال التذوّق، التأمل والتمعّن والتمتّع بسرعة كناظر البرق الخاطف بين السحب.

(٢) أفي كلّ حين أجابت حمامة أختها غِناءها في بطن وادٍ استجابت عينك لهديلهما دمعاً يتدفّق حُزناً على هجر من تحبّ.

(٣) و (٤) الشاعر مندهش لما يحدث أمامه ماذا به لا يُحسّ ولا يشعر، وللوهلة الأولى نراه طالباً من نفسه استزادة إدرار الدموع من عينيه؛ فثمة حمامة تئنّ أنين الدموع بفقد حبيب، وكأنه لم يتأثر لهجر حبيب، ولم ير مخلوقاً أصيب بحبّه، فخسر حبيبه سواه، وكأن العشق اقتصر عليه من دون العالمين.

(٥) يجيب الشاعر، طالباً من نفسه أن يتخلّى عن ذكر ليلى، وقد أوصلته إلى هذه الحالة، وينتهي الحوار الوجداني أن من عرف الحبّ الحقيقي وذاق حلوه ومرّه يلذّ له التوق إلى حبيبه.